الرؤيا الابستيمية للعقلية العراقية المهزومة
محاولة للتفكيك

أ.م.د. مازن مرسول محمد

كلية الآداب /الجامعة المستنصرية

الخلاصة:

لعل التصدي وبجرأة للخوض في شأن العقلية العراقية يحتاج الى ادوات بحثية عالية في الدقة ، نحاول من خلالها البحث بفحص تأويلي ابستمولوجي في اقبية العقلية العراقية والنسيج الذي تكونت منه وكيف تبلورت وما اصبحت عليه ، وتلك ليست بالمهمة السهلة بل هي شاقة ، لاننا نتعامل مع تركيبة عقلية معقدة نوعاً ما بظروف تكوينها والبيئات التي رُسمت صورتها من خلالها والتي جعلتها تنبري وفق عدة وضعيات تقولبت وفق ما آلت اليه اوضاعها .

ولما كانت العقلية العراقية هي واحدة في التكوين البيولوجي مع العقول البشرية الاخرى في العالم ، الا انها تختلف عن بعضها الآخر في طريقة النظر للحياة وما هي الامور التي أُجبلت عليها هذه العقلية لتظهر بمظاهر قد تميَّزها عن غيرها وتختلف في أخرى .

فربما يكون العقل مفتاحاً لرموز معقدة كثيرة تختلقها الحياة ، وقد يكون مساهماً قوياً في تأزم واقع الحال والسير به نحو المجهول ، وما ذلك الا ترجمة للداخل العقلي الذي يمثل تركيبة العقل وخطوطه .

ورؤيتنا للصورة التي تشكَّلت بها العقلية العراقية وما وصلت اليه اليوم تحتاج الى اختبار عدة صور سابقة ساهمت في بلورة هذا النموذج الذي نحيا به حاضراً ، فالعقلية العراقية بتأزماتها وانجازاتها ليست وليدة الراهن الحاضر ، وانما هي تراكمات بيئية حياتية وثقافية ومعتقداتية خلَّفتها لها الحياة في المجتمع العراقي وما انطوت عليه في الانتقال من ماضٍ معقد تشاركت في تكوينه كل ظروف الحياة بملابساتها آنذاك من انحطاط وازدهار وتعثر وتبعية وتفوق وانجرارات واقتتال وصراع ايديولوجيات .

لذلك فما نحاول الوقوف عليه في هذه الورقة هو ليس تتبع الرصد التاريخي لمسيرة حياة العقلية العراقية بما تحويه ، وانما استنطاق هذه الجذور لتفصح لنا عما وضعته في هذه العقلية ، اننا نحاول الغور بنظرة ابستيمية تأويلية لنفتش في داخل هذه الظروف وما انتجته من عقلية في الراهن الحاضر .

ان المحاور التي تدور حولها ورقتنا الحالية تتموضع في عدة نقاط منها :

١. وعي الجذور والتراكمات التي شكَّلت العقلية العراقية بهذه الصورة .

٢. التعريج على القوالب النمطية التي سادت العقلية العراقية وكيف ساهمت في المضي في الحياة وفق هذه القوالب والمتحدرة من قيم وعادات وثقافة المجتمع التي حتَّمت في بناء جملة من التناقضات التي سادت حياة الفرد العراقي .

٣. الكيفية التي تقوم بها العقلية العراقية باجترار الماضي بكل ما يحويه والهروب له والانغماس فيه وتقديسه ، وما ساهم به ذلك في تصدع العقلية العراقية وتأزمها .

٤. الصور التي اتضحت بها العقلية العراقية من انها عقلية باتت مأزومة من الخارج مهزومة من الداخل وما انهزامها هذا بسبب ما تراكمت عليها من ظروف الحياة كركود حضاري وتنميط عقلي للكثير من القيم والعادات ، الامر الذي افرز عقلية مقهورة مهزومة لا تقوى على التحدي المباشر لكل ظروف الحياة .

٥. ولعل التنقيب بشكل ابستيمي تأويلي لا يدور في فلك جلد العقلية العراقية وانما نقدها ومعرفة نقاط ضعفها للوثوب من جديد وبقوة في مواجهة ما يعيق تطورها وازالة كل التراكمات البالية التي اخذت من تركيبتها الشيء الكثير، من خلال معرفة ما يجب على العقلية العراقية السير في خطاه للتخلص من ادران الانهزام الذي بات يمثل صفة سائدة لها .

المقدمة

ان تكلمنا عن العقلية العراقية بتراكماتها وتنوعاتها ونظرنا لها نظرةً ابستمولوجية تأويلية نبتغي من خلالها تعرية الداخل المعرفي لها ، لابد لنا من التأكد بشكلٍ يقيني جداً من ان المسألة ليست محض صدفة وتكوينات اعتباطية وظروف مقدرة آلت اليها صورة العقلية العراقية التي نلحظها سابقاً وحاضراً ، بل ان الامر يبتعد أكثر من ذلك بصدقيةٍ عالية ليكشف لنا عن تأرجحات وتنوعات ومخاضات كبيرة كونت منها هذه العقلية خارطة جسدها التي تحيا بها اليوم .

فليس من المعقول ان نتهم العقلية العراقية بأنها شذَّت عن غيرها من العقول البشرية وكوَّنت لها مناخها وفضائها الخاص بها ، بحيث قادت مجتمع الى عدةِ مراحل متعاقبة وكأنها لعبت دور المُسيَّر للفرد العراقي ، وانما ما يمكن لنا فحصه وتشخيصه هو ان هذه العقلية قد تأزمت في فتراتٍ وسمحت لذاتها ان تؤزم ما جاء من الاجيال في سلسلة حياة المجتمع العراقي .

لقد بدأت العقلية العراقية قلقة لا تستطيع الركون الى جانب معين ، تتلقفها الكثير من الموجات الثقافية بدأت بغزو الصحراء لها بما تضمنه من محركات وقولبات صاغت هذه العقلية وفق مقاسات معينة اختطت لها طريقاً عاماً ليكون منهجاً للأجيال التي لحقت .

ولا نعتقد ان التأثيرات البدوية المنصرمة لم تأخذ الا مساحات صغيرة في حيز تركيبات العقلية العراقية ، وانما شكَّلت معظم ميكانيزماتها التي تبلورت بشكل ثقافة معاشة ضمت في بواطنها عادات وتقاليد وأنظمة سُير الفرد العراقي على اساسها .

ومن ثم وجد هذا الفرد نفسه وقد حُدد طريقه في العيش في المجتمع وما يفترض عليه ان يتبعه ، حتى لا يخرج عن القواعد التي انتهجت سابقاً بغثها وسمينها لتصبح تابوهات حياتية لا يمكن التعدي عليها ، او تخطيها او التلاعب بها ، وانما الالتزام بتقديرها والسير وفقاً لها .

كل ذلك بلور مآلات حزينة افصحت عن قدرات مكسورة وقابليات معطَّلة تملكتها العقلية العراقية ، الامر الذي حفز للانهزامية ان تستفحل في دواخلها دون ان تفحص فحصاً دقيقاً ما يحيط بها وما ينبغي ان تكون عليه وما المطلوب منها ان تفعل لتحيا في الحياة الانسانية .

لعل اطلالتنا الفكرية هذه تبتغي الخوض في ملامح مسيرة تكوين العقلية العراقية ، التي استهلتها بمرحلة البلورة والتأثر بالوافد العاداتي والتقاليدي ، ومن ثم سيرها ودورانها في فلك القوالب النمطية التي نُشأت عليها وجعلتها لا تنفك تخرج عنها وما آلت اليه حياة المجتمع العراقي وفقاً لها ، بعد ذلك تتبع انغماس العقلية العراقية رغم التقدم التاريخي والزمني بالارتدادات التقليدية ووضع هالة كبيرة تحيط بالماضي الذي ملكته قداسة لا يمكن التجاوز عليها او التشكيك بما سنَّته وجاءت به ، ثم الوصول الى واقع العقلية العراقية الذي تمثل بواقعٍ مأزومٍ يحركه داخلاً مهزوماً بسب ما تراكمت عليها من ويلات وازمات وانتكاسات وايضاً تسيير واضح لانتهاج مسلك او توجه قد تم التنبيه والاصرار عليه في الحياة ، بعد ذلك محاولة فقه مآلات هذه العقلية وما يجب ان تكون عليه وفق استراتيجيات معينة تمنحها قوة الابداع والانعتاق من تبعية الماضي وخلق حياة عقلانية مدروسة الجوانب .

أولاً : وعي الجذور والتراكمات

لا يمكن بشيءٍ من السهولة التنقيب بشكلٍ عميق في بواطن العقلية العراقية دون معرفة المحيط الذي شكَّل حاضنة واضحة لهذه العقلية وبات مؤثراً كبيراً في تركيباتها التي انطوت عليها ، فالعقلية هي واحدة من ناحية التركيب البيولوجي لكنها تختلف من ناحية القدرات والتكوينات بين مجتمع وبيئة واخرى ، ولعل اجترار الجذور والتنقيب فيها سيكون لازمة ضرورية لمعرفة اهم الاصول التي بُنيت عليها العقلية العراقية الحاضرة .

ولو عرَّجنا بشيءٍ ليس تفصيلي نوعاً ما عن ماهية العقل لوجدنا ان هناك الكثير من الاشتقاقات التي ترسم صور عدة للعقل بتركيباته وقدراته والخطوط التي يرسمها في الحياة التي ينشأ بها .

فالعقل لا يمكن ان يكون عبارة عن كتلة يمكن معاينتها بالحواس ويمكن تلمسه حتى يتم من خلال ذلك تحديد سماته وقدراته ، وانما هو قدرة منطقية مجردة تقوم بدورها باستقبال كل المعطيات والنواتج من خلال ما لدى الانسان من حواس ، ليقوم بعد ذلك العقل بتجميع هذه المعطيات وفرزها وترتيبها واعادة تنظيمها وتبويبها وفق ما بني عليه العقل من اسس ومبادئ[١].

وتتوقف القدرة التي يمتلكها العقل في التبويب والتنقية بين انسان وآخر وذلك تبعاً للبيئات التي يحيا فيها العقل وما يتأثر به من محفَّزات ومعطيات ممكن ان تبلور العقل وفق ما يريده المجتمع او على اساس التربة التي نشأ فيها ذلك العقل.

فقد تكون عملية التحليل لما هو مستقبل لا تأتي وفق ما ترتضيه العملية المنطقية لوجود قصور في عملية ربط الاسباب بالنتائج ، او بسبب الوصول الى تعميمات يطلقها العقل لكنها تستند في اجزاء منها الى اسسٍ غير منطقية اورثتها للعقل البيئة والمحيط الذي يعيش فيه ، فالعقل يفرز ويصنف لكن هذه المعادلة ترتكز على الخطوط التي يرتبط بها هذا العقل وقدرته على التوجه الصحيح ام السير بعكسه .

في كتابه اشكاليات الفكر العربي المعاصر يقول الجابري ما نصه " اننا ننظر الى العقل بوصفه عقلاً مكوَّناً (raison constituante) حسب تعبير لالاند ، أي فاعلية منتجة لثقافة ، وعقلاً مكوناً (raison constita,ee) حسب تعبير الفيلسوف نفسه ، أي مجموع المبادئ والقواعد الفكرية المؤسسة لتلك الفاعلية ، والتي تشكل في الوقت ذاته القاعدة (base) الابستيمولوجية لتلك الثقافة او نظامها المعرفي " [٢] .

وذلك بطبيعة الحال هو لب القاعدة التي ينشأ على اساسها العقل من انه يُخلق من التكوين المجتمعي بما يحويه ذلك من ظروف واعراف وثقافات تتمحور جميعها في دواخل وبواطن ذلك العقل ، فيعمل وفق القواعد والمبادئ التي نشأ عليها ويظهر وفق الصورة التي رسمها له المجتمع.

وقد أُثيرت الكثير من التناقضات حول دور العقل في الحياة وما يقوم به وما يفترض ان يكون عليه وما هي الوظائف الاساسية التي يقوم بها دون انتزاع الدور الجوهري الخاص به ، وظهرت الكثير من الاطروحات التي تنادي بأحقية الحقل في التفسير والتحليل والتصنيف وفق ما يتمتع به من أسس ، واخرى ناقضت ذلك وأوكلت له مهام وادوار قد تكون غير موازية للقدرة والتفوق الذي يتميز به .

فلقد كان القدماء يعتقدون ان العقل وظيفته هي التوصل الى الحقائق ، لكن العقل يتصدى لوظيفة التوصل الى الوسيلة التي تمكن الانسان من النجاح في الحياة والسيطرة على الكثير من مقدراتها ، فالحياة عبارة عن صراع دائم يستخدم الانسان عقله لتحديد ما يمكن استخدامه من وسائل مثمرة لاستغلال هذا الصراع لصالحه(٣) .

وفي الحقيقة وان كان فرض ان العقل يتمكن من الوصول للوسيلة التي يستطيع من خلالها الانسان تحقيق النجاح ، فهو بذلك قد قطع المسافة الكبيرة في تحقيق النجاح ، فلولاه لما تمكن الانسان من معرفة الطريقة الانسب للتعامل مع تقاطعات الحياة ، فما يخلقه من وسائل ابتكارية يستخدمها الانسان يمثل الجهد الاكبر الذي يمكن ان يحسب لصالحه ، فهو بذلك قد اصاب الحقيقة وطرق النجاح من خلال ما اوجده من اساليب للوصول لها .

يذكر جيرتز " ان العقل هو مصطلح يدل على مجموعة من المهارات والميول والقدرات والنزعات والعادات ، وفي عبارة ديوي يشير المصطلح الى خلفية فاعلة ومتحفزة تكمن في حالة انتظار وتستخدم أي شيء قد يأتي قبلها ، وبهذه الصفة ، فهو ليس عملاً ولا شيئاً ، بل هو جهاز منظم من الميول يتبدى في بعض الافعال وفي بعض الاشياء "(٤) .

فالعقل مكملاً لكيان الانسان بما فيه من اعضاء اخرى وقدرتها على التعاطي مع بعضها البعض ، فأن وجود قدرات ابتكارية للعقل في خلق الحلول تحتاج الى تطبيق وتنفيذ ممكن ان يوظف الانسان حواسه واعضاءه الاخرى لتنفيذ مخططاته العقلية هذه ، لكن حدوث قصور في أي جزء من اجزاء جسم الانسان قد يعوّق العقل ويجعله غير قادر على اتمام ما يطمح له ، فالقضية عبارة عن معادلة متكاملة الاسس او على الاقل يفترض ان تكون كذلك .

على ان لا ننسى ان للعقل قدرات تتناسب ومستوى تركيبه والفضاء والبيئة التي يحيا بها ، فهو غير قادر على ادراك حقائق الكون الكبرى ، اذ انه محدود في فهم كل الاشياء المحيطة في الحياة ، ومن الصعب ان يفهم العقل كيانات اخرى تختلف نوعاً ما عن كياناته التي يعيش بها(٥).

ولما كان هذا التركيب والمقصود به العقل له قدرات كبيرة في خلق انجع الحلول لحياة الانسان من خلال تهيئة ما هو مناسب من وسائل للفرد ، الا ان حدود قدرته هذه لا تشمل الكون برمته ، فهو غير قادر على استيعاب معارف وقدرات ومكونات وطبيعة الحياة بأجمعها بما فيها من تراكمات ومتلازمات وتناقضات ، وتلك المحدودية تتأتى من طبيعة خلق وتركيب هذا العقل في استيعاب ما يحيط به وما قد يزيد عنه لكن ليس بالشكل المبالغ به بحيث يصل الى الالمام بكل العالم بمتضمناته.

وقدرة الاستيعاب والادراك لكثير من الحقائق قد يحفِّزها نوع الحياة والبيئة التي يحيا فيها العقل ، اذ يلعب مكان نشأة وظروف الحياة التي تحيط بالعقل دوراً مهماً ونوعياً في تحفيز او تقويض قدرة العقل على الالمام والتوسع في الادراك .

ولعل المشكلة في ما يتعلق بتطور العقل هي ليست مسألة زائفة تقوم بتوليدها فلسفة ميتافيزيقية ما ورائية خاطئة في التأويل ، ولا هي مسألة اكتشاف تضاف الى اكتشافات العقل ، بل هي مسألة تتعلق بتطور واقتفاء انواع معينة من الميول والقدرات والطاقات والحوافز عند الكائن الانساني (٦) .

وبالإشارة للعقل البشري هنا لا يمكن ان تشذ العقلية العراقية عن كل هذه المتلازمات ، فتكوين العقل العراقي تمت صياغته وفق مخاضات كبيرة تسلسلت منذ العهود التاريخية التي انتجت عقلية تحمل في اقبيتها الكثير من التأرجحات التي تراوحت بين مرارات واوجاع وازدهارات وتقدَّمات ونكوصات وتقزَّمات ، والبيئة التي عاشت بها تلك العقلية كانت كفيلة بكل هذه التصدَّعات التي مرت بها .

ويمكن القول وكما اشار الدكتور الوردي ان اهل العراق قد عانوا بشكلٍ كبير من الصراع النفسي حالهم في ذلك حال الكثير من مجتمعات العرب ، لكن الامر يختلف في التفاوت في درجة هذا الصراع الذي بان بشكل عميق في المجتمع العراقي (٧) .

وهذه الصراعات النفسية التي تشير لها التتبعات التاريخية كوَّنت عقلية خليطاً بمضمونها من اسباب ونتائج هذه التأزمات النفسية ، ويمكن ان نلحق ذلك بالعهود الاستعمارية التي توالت على العقلية العراقية وما افرزته من صور داخلها وجعلتها تنظر لما هو قادم من منظور هذه الازمات ، فضلاً عن فترات الحرمان بكل ما يشتمل عليه من اقتصادي وسياسي مجتمعي وثقافي ، وبروز التوتاليتاريات الواسعة التي اخذت لها مواطئ قدم واسعة في جسد هذا المجتمع .

ان العقلية العراقية صُدمت في العهد العثماني بانحطاطٍ شديد في حضارتها ، فضلاً عن ذلك انفتاح المجتمع ووقوعه وفق امتدادات الصحراء ، حيث تتوافد وتتسلل اليه القبائل البدوية ، وتستقر فيه ، بما تحمله من ثقافات خاصة بها (٨) .

لذلك يمكن ان يشير ذلك الى موجات تراكمية كبيرة قد قصدت العقلية العراقية واصبحت جزءً من اساساتها ، حيث انها قد اصبحت مجبولة على الخنوع للموجات الاستعمارية وكيف قولبت العقلية آنذاك واحطت من مكانتها التي يفترض ان تكون عليها ، فضلاً عن الثقافة البدوية المقفرة التي تتهافت عليها ، فألزمتها الارض والجغرافية بفرض ثقافات هجينة عليها اصبحت جزءً من كياناتها فيما لحق بعد ذلك.

واصبحت العقلية العراقية مقهورة بفعل دكتاتوريات واسعة حطَّمت القاعدة الثقافية والايديولوجية الخاصة بها ، وايضاً قُهرت بفعل الارض وجغرافيتها التي فرضت عليها موجات البدو بكل ما يحملوه من قيم وثقافات .

ولعل الامر لم يقتصر على غزو العقل البدوي للعقل العراقي بقيمه واسسه وانما تجاوز ذلك الى محاولات السيطرة على اراضي المجتمع ، حيث كانت القبائل البدوية في تحركاتها تقف موقف الطامع والمترصد بالمجتمع العراقي ، وما شجع على ذلك هو ضعف سيطرة الحكومة في العراق آنذاك والتنازع القبلي والاوبئة التي فتكت بالكثير من سكانه الاصليين (٩) .

وبذلك فقد اُخترقت العقلية العراقية من قبل عقلية بدوية بتركيباتها وما تهدف اليه ، فأصبحت امام مواجهة نوازع وارادات تحاول السيطرة على كل مقومات الحياة وافراغ الداخل العقلي العراقي من مكوناته ، الامر الذي جعل العقلية العراقية تكون ضحية السياسة التي لم تحافظ على هوية المجتمع من تدخل الاجانب ولم تسعفه من فتك الامراض به .

وفي مطلع القرن العشرين كانت صورة العراق عبارة عن اقليات عرقية ودينية كثيرة كالفرس والآشوريين والارمن والكلدانيين واليهود واليزيديين والصابئة وآخرين وغيرهم (١٠) .

فالعقلية العراقية وفقاً لهذا التراث التاريخي والتوزيعي حرَّكتها جغرافية واحدة تمثلت بأرض ووطن واحد ، لكنها اختلفت بالعقائد واللغات والثقافات التي تداخلت مع بعضها نوعاً ما ، فهي تشترك بالمسائل التي تبرز بها واحدية الوطن وتختلف عند الركون للأقلية والطائفة ، لذلك فهذه التراكمات عبئت في العقلية العراقية ان العراق عبارة عن عدة مكونات وليس عبارة عن مكون واحد ، وهناك حقيقة لا يمكن التغاضي عنها ان كل من هذه المكونات لها أسسها وشروط بقائها وقيمها الخاصة بها والتي تبتعد وتقترب من بعضها البعض .

ان المتتبع لمراحل صيرورة العقلية العراقية يجد انها تشعبات من حروب وانتهاكات وازمات واوج حضاري متقدم وانحطاطات وتقزَّمات ونكوصات ، وحتى لا نغور بعيداً في اقبية التاريخ يمكن الاشارة الى فترات الاحتلال العثماني التي ادلجت العقلية العراقية على اساسات الخضوع والاذعان وكيفية تمجيد المستعمر وخلق ثقافة الخوف والتبعية لدى المجتمع .

والعقلية العراقية اكتسبت الكثير من ملامحها من تلك الفترات التي اجبرتها على خوض الصراعات مع الوافد الاجنبي وخط حياة تلائم تلك القيم والثقافات بما تشتمل عليه ، فباتت العقلية العراقية تتأرجح بين القبول والرفض لكثير من هذه المعطيات .

ويمكن القول ان هذه التراكمات التي انقسمت بين سياسية تمثلت بالحكومات الجائرة والتبعية وسلب حقوق المجتمع واقتصادية من آفات فقر وانهيارات اقتصادية وثروات طائلة مهدورة ، وثقافية

تمثلت بالانجراف الفكري والتبعي للمستعمر والقضاء على اكثر قيمه واسسه ، قد صاغت العقلية التي تستند على هذه التأزمات وتجتر الكثير من قضاياها منها ، ولنا ان نعرف كيف اجترت هذه العقلية الكثير من هذه الانعكاسات في المراحل الاخرى من هذه الورقة .

ثانياً : قوالب عقلية نمطية

ان العقلية تنشأ وتتفاعل وتتعاطى مع الحياة بمتضمناتها استناداً الى ما وجدت بيئتها عليه، فلا يمكن ان نتصور ان تفصح عقلية ما عن تصورات هي خارج محيط الحياة التي تحيا بها ، ومن الطبيعي ان ذلك يختلف عن الافكار الجديدة التي ربما تقتبس من خارج الثقافة المعاشة ولكن المقصود هو اغلب القيم والعادات المتوارثة والتي تنسج على اساسها العقلية شبكة تترابط مع كل ما هو قائم ومتعارف عليه .

لذلك فكل بنية اجتماعية بما تشتمل عليه من نظم وعلاقات تفرز ذهنية تتوافق وقواعد هذه البنية وتتميز بنفس خصائصها التي تقوم عليها ، لغرض خدمة اغراضها التي تبتغي تحقيقها(١١).

فمن المتعارف والمألوف ان الانسان يتقمص ادوار وانظمة بيئته ليكوَّن له كيانات خاصة تنطلق منها رغباته وقراراته في التصرف بمجريات الحياة ، وللعقل دور كبير في الاستمالة لهذه البيئة التي ينشأ بها وتكون تركيباته خالصة منها ، والتي تساهم في تسيير امور الحياة بالنسبة لكل فرد فيها .

ومن خلال هذه الصورة الواضحة لنشوء العقل يمكن القول ان البيئة الحياتية تجعل العقل البشري مُسيَّراً لها في السير والتصرف وفق ما تراه تلك البيئة مناسباً ، والتي لا يمكن بأي حال من الاحوال الخروج عنها .

لذا فأن كل انسان لا يمكن ان ينمو عقله في اطار خارج عن اطر بيئته والقوالب التي تصنعها له ، اذ لا يمكن ان نتوقع ان نتاجات تتعلق بالفلسفة المعقدة والرياضيات من عقول بشرية ربما عاشت وتآلفت بين اقوام بدائية (١٢) ، فذلك ربما يكون اجحافاً لعقل الانسان هذا على اعتبار ان العقل هو تركيب يتوافق مع ما محيط به وله مدارك محددة وافق لا يمكن ان يتجاوز كل ما هو معقول بحيث يشمل كل ما موجود على بقاع الارض، وانما يتناغم ويقوم بتصنيف وتحليل ما موجود في محيطه ليخدمه ويخدم اغراضه ، لكن ذلك لا يعني ان كل العباقرة والمخترعين من ذوي التركيبات العقلية الفذة قد عاشوا في بيئات قد لاءمت ما وصلوا له وانما هناك طفرات تحدث بين عدة فترات تفرز عقليات ذو تركيبات بيولوجية عالية في التفكير والذكاء قد تتجاوز البيئة وان كانت رديئة الى تحقيق افضل النتائج ، وايضاً ان ذلك لا يعني ان البيئة المناسبة ليست شرطاً لنبوغ العقلية واتساع افقها ، فكثير من القدرات الذكائية قد اندثرت بفعل ظروف المحيط وتعثراته .

فالإنسان مؤمن بشكل كبير بما وجد اباؤه عليه ليحاول ان يختط لذاته طريقاً مشابها ليؤيد من خلاله طريق الاقدمين منه من ابناء مجتمعه ، ومن النادر ان يكون هناك شخصاً قد خرج على عقيدة اهله ، الا بضغط عوامل نفسية واجتماعية قد تدفعه لذلك [١٣] .

ولنا ان نلحظ ان الامم قد تكيَّفت اجيالها من خلال تلاقح الجيل مع ما سبقه بالأفكار والقيم والثقافات التي ورثوها ليشكِّلوا بذلك ميراثاً يصبح مقدَّساً لا يمكن المساس به او الانتقاص منه في اغلب الاحوال ، الامر الذي يجعل من هذا الميراث بما يحتويه عبارة عن منظومة من التابوهات التي لا يمكن المساس بها وانما السير وفقاً لما جاءت به ، مما جعل الكثير من هذه الاجيال قد تؤمن بما هو بات غير مناسباً لحياتها الحاضرة او ما تأكدت من انه خاطئ ومن سار عليه من السابقين قد عاشوا في وهم كبير في تصديقه ، لكنهم لا يستطيعوا ربما الخروج لتمسكهم بشيء اسمه ميراث الامة وعاداتها وتقاليدها ، مما يخلق ذلك عقلية منمَّطة وفق تركيبات تحتوي تنظيمات وقواعد قد أُعدت سابقاً وما عليهم سوى الخضوع والخنوع لها فقط دون محاولة الخروج عليها ، اذ يمثل ذلك خروجاً وانتقاصاً من عقول اجداده وعقائده.

ولعل الفرد العراقي لا يختلف عن غيره في آلية تقمص حياة الاجداد والآباء في السير وفق عاداتهم وتقاليدهم وانظمتهم التي خلقت منهم كيانات تحمل عقولاً عاجزة نوعاً ما عن التفكير في التغيير القيمي وما يشتمل عليه .

لقد كان المد البدوي في العهد العثماني هو المسيطر على عقول العراقيين آنذاك فكانوا اقرب لأخلاق البداوة من اخلاق الاسلام ، فالبداوة تمجد قيم الثأر والغزو والتعصب والنهب وقتل المرأة وغسل العار ، بينما يشجب الاسلام ولا يرتضي كل هذه القيم ويبغضها [١٤] ، من الطبيعي ان هذه التراكمات وواقع الحال له اكبر الاثر في خلق عقلية تؤمن بما تلمسه وتنشأ اجيالاً ربما وفقاً لها، فالمد البدوي ضرب بقوة في اعماق العقلية العراقية بقيمه وتركيباته والتي مازالت لحد اليوم تفصح عن ذاتها في كثير من المواقف التي تمثل اجتراراً لها ومن منابعها.

ولعل لب تخلف العقلية يعود الى عدة اسباب اجتماعية وسياسية ترتبط بأنماط الانتاج والادوات والتقنيات وانعكاس كل ذلك على الذهنية والتي هي بالأساس تعود الى انظمة التسلط والقهر التي تحكم تلك العقول [١٥] .

فمال المجتمع العراقي الى استخدام والتعايش مع كل ما هو متخلِّف في الفترات القديمة المنصرمة ، والذي يفصح عن تمسك العقلية آنذاك بقوالب قد وضعت مسبقاً ولا يمكن الحياد عنها شملت قواعد تنظيم امور الحياة التي عفا عليها الدهر واستخدامات الحياة الاخرى من زراعة ارض وتقنيات مستخدمة وبيع محاصيل وتعامل مع الاجهزة السلطوية ، فالأمر بات تعامل مريض وفق عقلية

ارتضت ان تحكمها عادات وتقاليد ربما كانت مستساغة ونافعة في اوقاتها فقط واصبحت تمثل يوتوبيا مقدَّسة لا يمكن الانتقاص منها .

ولعل بروز الابوية التقليدية خير مثال على انتهاج اسس عقلية نمطية جاءت من تأزمات القيم وتخلُّفها ، والتي خلقت بالمقابل انتكاسات تمثلت بأعراق وقيم متحجرة لا تتلائم والعيش الانساني ، لما يحصل فيه من قهر للإنسان والتنميط وفق تركيبات تؤدي الى الرجوع والتقهقر .

فالمجتمع الابوي الذي يعد شكلاً من اشكال المجتمعات الراكدة فهو بالتأكيد يعود الى البنى التقليدية التي تتصف بالعجز وعدم القدرة على مواجهة كل ما هو جديد ومتقدم والتي تفتقر للوعي الداخلي اللازم للنهوض [١٦] .

وعلى الرغم من ان الكثير من ملامح السلطة الابوية الى اليوم مازالت موجودة وتظهر الى السطح في مجتمعات قد غارت بشكلٍ كبير في قيم الحداثة والعصرية ، فالمسألة تتمثل بالميراث القيمي الذي من الصعوبة نوعاً ما تناسيه او التغاضي عنه والذي يمثل قواعد لا يمكن تخطيها وان تبدَّلت القيم واختلفت الاماكن وتطورت الحياة وباتت لا تتلائم قيمهم مع القيم الجديدة والمستحدثة .

والابوية والمجتمع الذكوري قد استمد اساساته كنظام من القيم البدوية والصحراوية التي همَّشت جميع الافراد لصالح الاب والذكورة فقط ، وقد ضربت تلك القيم في تاريخ المجتمع العراقي ومازالت الى اليوم تستفحل بين فترة واخرى بحسب ظروف المجتمع التي يمر بها .

ويمكن القول ان الاب في المجتمع العراقي يمارس كل التقاطعات السلوكية ليحفظ الشرف الذي يقوم بكسرهِ يومياً من خلال احقية الذكور والابوية في السيطرة على الحياة ، الامر الذي خلق من الشخصية العراقية شخصية مُستفزة [١٧] ، اذ اصبحت مستفزة بسبب عدم حيادية العقلية العراقية في التصرف وفق القيم والقواعد الحياتية ، حيث وجدت نفسها بين فكي العادات البالية والتقاليد التي تمثلت السلطة الابوية كواحدة منها وما آل اليه الامر من خلق عقول يجب ان تخضع وأخرى يجب ان تهيمن وتسيطر بشكل يهمش الآخر في نطاق الابوية والذكورة .

حتى ان السكنى في المدينة من قبل افراد المجتمع العراقي لم يكن خالصاً اذ بقيت الكثير من العادات القبلية البدوية تلحق بهؤلاء الافراد ، اذ يتأثروا بتيارين متناقضين احدهما يدفعهم للتمسك بالقيم البدوية التي ورثوها من ابائهم والآخر يدفعهم نحو القيم الحضرية [١٨] .

وما تمسكهم في المناطق الحضرية بقيمهم التي اكتسبوها من المد البدوي الصحراوي الا اشارة لتنميط عقلي لا يمكن التغاضي عنه او تركه ، فذلك يُعد انتهاكاً واضحاً لقيم الاجداد والآباء التي تمازجت قيمهم مع قيم الصحراء ، وكثيراً ما اصبح الفرد العراقي مظهرياً قد يشير الى الاتساق مع حداثة العصر وتنوعاته ، لكنه قد يرجع في لحظة ما الى جذوره البدوية ويقوم بأفعاله وفقاً لها ،

فالتخلص من هذا التنميط العقلي صعب نوعاً ما ويحتاج الى توجهات وبناءات يستسيغها العقل من جديد .

ولقد حجر العقل المرأة في مكانٍ ضيق وفق العادات البدوية وافتراسها للواقع العراقي ، فالأصول الصحراوية تنظر للمرأة ككيان لا قيمة له ومن الممكن التضحية به وفق ما يتلائم والقيم التي يعتقد بها ، لذا كانت منزلة المرأة منحطة في المجتمع العراقي تتعامل معها وكأنها وعاء للإنجاب ليس الا ، وربما ما ازَّم العقل العراقي هو اجتراره لقيم وميراث الاولين الذي قام على ازدراء المرأة واحتقارها والنظر لها نظرة دونية ، فهي قاعدة وعادات لا يمكن التخلي عنها او تجاوزها .

لذلك غالباً ما كان يُنظر للمرأة في المجتمع العراقي على انها تحتل منزلة أوطأ من الرجل، فالرجل يغزو ويحارب وهي لا تفعل ذلك وانما تقوم بأمور بيتية لا يليق بالرجل القيام بها او يستنكف منها ، فهي مُعدَّة لهن فقط [١٩] .

وربما شيوع ظاهرة قتل المرأة وغسل العار خير دليل على المكانة الواطئة والدونية في المجتمع العراقي آنذاك عند الشك او الاشتباه بسلوكها نوعاً ما ، ولعل هذه العادة موجودة في الكثير من الدول العربية الا انها تختلف من مكانٍ الى آخر [٢٠] .

اذ عوملت المرأة من قبل افراد حكمتهم القيم القبيلة البدوية التي جاءت بالسلطة الذكورية وأقرَّت امتهان المرأة ودونيتها ، فتم التعامل وفق هذه العقائد العقلية لمسخ كيان المرأة وعدم الاعتراف به في الوجود ، واثبات احقية الذكورة في التسيُّد والتكفُّل في المجتمع ، حتى ان الامر قد اصبح عند السابقين من افراد المجتمع العراقي وكأنه قانوناً لا يمكن تغييره في قتل المرأة والحط من كرامتها حيث تشير الى النجاسة والاحتقار والآثام .

وعلى الرغم من وجود الدعوات الدينية في الشرع الاسلامي وغيره من الشرائع الاخرى ، الا ان عقلية البدوي قد تحجَّرت وتربَّت على اسس خاطئة لا تريد الخلاص منها وانما تعتبرها من دساتير الحياة التي تحيا بها ولا يمكن تناسيها او الغائها من حياتهم .

كما ان حجب المرأة تحت مسميات التقاليد والعادات التي تحرَّم وتمنعها من الكثير من الاشياء ، قد استمدَّت جذورها من عادة (غسل العار) التي تلقفها افراد المجتمع العراقي من الوافد البدوي [٢١] .

وحقيقةً ان كل هذه الامور التي تمثلت بالتصاق شديد بكل ما هو نمطي من عادات وتقاليد لا يُراد منها الا المحافظة على هذه المنظومات دون تغييرها وان ثبت ان الكثير منها لا تصلح لحال وحياة الافراد ، لكن ما التزم به الفرد العراقي هو مسايرة العرف والعادات وعدَّها من الثوابت التي لا ينبغي خرقها ، فليس المهم هو تفكيك هذه العادات والقيم ومعرفة ما ينفع منها وترك الضار بقدر ما يكون المهم هو تطبيقها بحذافيرها وان كانت خاطئة في نظر الكثير او تبين لهم انها كذلك ، فالخطأ

عندهم هو ان تتخلى عن ما تربى عليه اجدادك وآباؤك وليس الخطأ هو ان تأخذ وتتبع عادات بالية ، من ذلك نلاحظ ان هذا التفكير وهذه التركيبة العقلية ظلت الى ردحٍ من الزمن تعتمر بهذه الاطروحات وهي ما زالت الى الآن تتغذى من الجذور التقليدية العصبية التي بُنيت على أساس التسلط الابوي وحق الذكورة وانحياز حق العيش للفرد الذكر دون غيره ، فالمسألة باتت حرمة اختراق عادات وتقاليد والتي شكَّلت اساساً راسخاً لا يمكن تغاضيه ، ومن ذلك نرى ان صيحات التغيير والتحديث والحداثة والعصرية قد اقضَّت مضاجع العادات التقليدية وجعلتها تتأرجح وتهتز خوفاً لئلا تُسف من الجذور ، والخوف يكمن في مفاضلتها بقيمة ما سلف من الافراد بتأثير الهاجس والاساس البدوي الصحراوي .

فالعرف الاجتماعي والتنميط العقلي مثلاً قد فرض على الفرد العراقي ان يتمنع عن أخذ الهدية وان يستمر في ذلك كلما ازداد المُهدي في الحاحه في عرض الهدية ، على الرغم من ان الذي تعرض عليه الهدية قد يرغب بها من صميم قلبه لكن العرف يريد منه ان يكون متمنِّعاً نوعاً ما [٢٢] ، وان يظهر عزة نفسه وكبرياءه وكذلك كرمه وعزته في قبولها فهي من صفات الشجاعة والمروءة والكرم والتضحية ولا يمكن التجاوز عليها ، وعليه باتت العقلية العراقية اسيرة اعراف وعادات قد خطَّها لها المجتمع موروثة من السابق الزمني والذي تمثل بوافد بدوي صحراوي بكل ما يحويه من قيم وعادات ومحاولة سيطرة ذهنية واحلال محلها قوالب نمطية تكتسب تكوينها من هذه الثقافة التي وفدت واصبحت تحتل اركان واسعة من عقلية المجتمع العراقي وافراده ، فالعقلية العراقية أصبحت تتقبل قوالب جاهزة معبئة بما يُسيِّر حياتها ، حيث لم تعد قادرة على الابداع نوعاً ما في ظل تركيبات جاهزة تفرض وتحدد عليها ما يجب ان تفعله وما هي الحدود التي ينبغي السير وفقاً لها دون الخروج عليها ، الامر الذي جعل ذلك أشبه بالتنويم الذي يُعبأ العقل بالأسس المُسنَة مسبقاً وحرَّضه على الاخذ بها دون الرجوع لكشف مصداقيتها ام لا ، فأصبحت هذه القيم والعادات منوماً للعقلية وموجهاً لها للسير وفق خطتها المرسومة بالحفاظ على الميراث التقليدي لأنه يمثل الاصالة الراسخة في مقابل المعاصرة التي تحاول نسف الجذور وفق ما اتفقت عليه عقولهم .

ثالثاً : اجترار الماضي بقداستهِ وتصدعاته

ان ما جعل المجتمع العراقي يظهر بهذه القوالب العقلية النمطية هو تمسكه بالماضي التقليدي الى ابعد الحدود ، فالرتابة وعدم التجديد من ناحية النظرة الجدية الفاحصة لضرورة الانعتاق من العادات القديمة وترك البالية منها ، والتمسك بماضي الاجداد والاعتراف بقدسيته التي لا يجب تدنيسها ولا يمكن تغييرها ، هي من التابوهات في مخيلاتهم التي تمثل الصفوة من القوانين والمعتقدات العرفية والعقائدية ، ولا يمكن له ان يتصور ان احداً ما قد يخرج عن اطاراتها وتصوراتها ، اذ يعد من يسير في هذا الاتجاه خارجاً على قوانين هذا المجتمع ومتناسياً لحضارته وارث اجداده .

لذلك نلاحظ امتزاج الحياة بتصنيفاتها بإرث الماضي والتمسك بإعادة تلميعه ، حيث يمثل القاعدة الاساس التي يستند عليها حاضرهم وماضيهم ، لكن الامر ادى الى التغاضي عن التفكير في كثير من الامور وسحق الابداع والتجديد والتفكير النوعي العميق ، فهناك اعراف وعادات قد سُنت سابقاً ومن الماضي وليس عليهم الا السير وفقاً لها دون الخروج عنها ، فهي تمثل صالحهم في الحياة ولا يمكن التفكير بأنها غير ذات فائدة او بالية قد عفا عليها الدهر .

وكلما كان الانسان متمسكاً بالرجوع الى الماضي وتقديسه بما فيه من اعراف وتقاليد دون التصدي للحاضر والمستقبل ، كلما عُد ذلك الانسان متخلفاً والذي تزداد درجة تخلفه هذه بازدياد درجات القهر التي تُمارس عليه [٢٣] ، حيث يُنظر للمسألة على انها تمسك بكل ما هو اصبح غير مناسب للحاضر والاستمرار في العمل به او السير وفقاً له ، حيث ان الحياة في تطور مستمر وتحتاج الى تعديلات كثيرة تمس اساليب العيش والقيم الثقافية دون الخروج على المألوف او نسف اساسات القيم وان تم تكييفها مع متطلبات الحاضر ، وان بقي الامر عبارة عن اصرار على الاخذ بالماضي بكل ما فيه دون مراعاة ماهية اليوم والمستقبل ، فسوف يؤدي ذلك الى حدوث قطيعة عقلية معرفية نصبح غير قادرين من خلالها على فهم ووعي الحاضر بسبب تخلف الماضي وعدم الانفتاح لرؤية صور أخرى تتناسب وما وصلت اليه البشرية اليوم .

ولا يمكن لمجتمعٍ ما ان يحيا بعيدا عن العصرية والتطور والتقدم ، ويبقى يعيش بعقلية الماضي والاتكاء على ما ورَّثه الاسلاف من منظومة قيمية بغثها وسمينها ، اذ يؤدي ذلك الى عزلة حضارية كبيرة تنسف عقول افراده وتجرفهم الى قيعان التخلف والتدهور والانحطاط .

ولعل من صفات المجتمع الذي ينظر الى الماضي ويرتد له بشكلٍ كبير انه مجتمع يضع العرف كقاعدة للسلوك وكمعيار للنظرة الى الامور ، حيث تتحكم في انسان هذا المجتمع التقاليد القديمة وتقيَّد كل حركة او انطلاقة لديه نحو المستقبل [٢٤] .

لذلك نلاحظ ان الامم المتخلفة دائماً ما تعشق الماضي وتتغنى بأمجاده وهو نوعاً من الهروب من الحاضر والعجز عن المواكبة ومحاولة لسد فجوة النقص الحاصل في الانجازات والقابلية التي ممكن ان يحققها الغير.

فالإنسان المقهور يهرب الى احضان الماضي ويتيه فيه وفي مظاهر عظمته والصور التي اختزنتها ذاكرته له ، ويعده الخير كله مقابل الحاضر الذي يمثل الشر كله ، حيث يمثل له هذا الهروب عودة للذات وللأمجاد التي يريد عودتها من جديد [٢٥] .

وما تمسك عقلية الفرد العراقي بالماضي وتفضيله على انه الاساس والمنجز الزاخر بالإرث التليد ، ما هو الا الاعتراف بالعجز وبالفارق الواضح الذي ممكن ان يرسموه لحياتهم على انها تختلف

اختلافاً جذرياً عن الماضي الذي كانت فيه حياة آبائهم واجدادهم حياة تقدم وإنجازية كبيرة، فهي عقلية تشعر بالدونية التي تعزلها عن المحيط ، وتشعر بصعوبة المضي في الحياة والمواصلة لخلق حاضراً ومستقبلاً يفوق الماضي ويصحح من اخطاءهِ التي كان وعاش على نهوجها .

والاشكالية الكبرى تكمن ان التنميط العقلي في المجتمع العراقي قد خلق عقلية تجتر كل ما قد نص عليه ارث السلف سواء أكان صالحاً ام لا ، وهنا يؤدي الامر الى تعطيل القابلية النقدية لدى هذه العقلية التي باتت تتقبل كل ما هو آتٍ من الماضي لقداسته التي خلقوها له والتي بوجودها لا مكان للفرز والتدقيق وحتى التفكير بما يناسب او يخالف ، فهذه القواعد والاعراف التي جاءت من الماضي هي القوالب الاساسية التي وجدوا انفسهم وعقولهم وقد تقيدت بها ، وباتت بمثابة قوة ضاغطة لا يمكن الفرار منها وانما التصرف وفقاً لما تريده .

رابعاً : تأرجحات بين مد الواقع المأزوم وجزر الداخل المهزوم

وفي خضم كل هذه السيناريوهات في تركيبة العقلية العراقية ، تصبح بمواجهة امرين هما الاول الواقع الذي تعيش فيه والذي اثر بشكل كبير على الداخل وهو الامر الثاني حيث يكون هذا الداخل مهزوماً بفعل تركة الماضي وضرباته القاضية والالتباسات الحالية التي يشهدها واقعه، والتي معها يجد صعوبةً في الارتكاز الى استراتيجية تخلص هذه العقلية من التركيب المعقد هذا.

ان ما وجدت به العقلية العراقية حالها ما هو الا صورة لتراكمات قديمة اختلطت بين سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية نتج عنه انتاج عقلية مأزومة وفي داخلها ادران من الماضي واجيال تربَّت على المنهجية التي فرضتها البيئة آنذاك .

فما نلحظه اليوم من كيانات بشرية او عقليات عراقية هي نتاج الماضي او خليط من الماضي بشكل كبير ، والحاضر الذي تكون لديها هو اجترارات كثيرة من هذا الماضي ، فالأجيال الحالية لا تجد سوى منظومة تعليمية او منظومة تنشئة قد اقرَّتها اعراف السلف من الاجداد والآباء ، وسيكون لها رصداً نوعياً ان قامت بغربلة هذه المنظومة لتأخذ ما هو صالح وتترك البالية منها ، لكن ذلك صعباً نوعاً ما حيث يحسب التغيير بأنه ثورة على التراث بكل ما فيه ولا يعدَّه تصحيحاً للمسارات الخاطئة فيه ، وان بقي الامر مجرد توريث لهذه القوالب العقلية سنلحظ زيادة في الذوات المهزومة من الداخل التي لا تجد ما يؤهلها لتنهض من الركام فتهرب الى تصرفات وسلوكيات تختبأ وراؤها تبرر ما موجود في دواخلها من انهزامية .

فما كان عليه العقل العراقي في العهد العثماني من التعصب للعشائر او المحلات اكثر من التعصب لأبناء الطبقة التي يعيشون فيها [٢٦] ، ما هو الا منهجية عقلية اجبرته البيئة والظروف على السير وفقها ، فالعقلية آنذاك تقولبت وفق نظام الالتصاق بالتركيب العشائري محيلة أي من التركيبات

الاخرى الى مراتب ومراكز ثانوية ، وذلك قد تأتى من القبلية وعيش الصحراء وما وفد عليها منه ، فداخلها يقول ان محيطها العشائري اكثر صلابة ونجاحاً من أي محيط آخر ، وتوارث الفرد العراقي ذلك الى يومنا هذا في قضايا الولاء والتمسك بالعشيرة دون غيرها .

فالنظام العشائري حقيقةً قد ساعدت عدة ظروف على نشوءه حيث لم يكن وليد الصدفة ، اذ ساهمت الظروف التاريخية والموضوعية في تكوينه ، ومنها ضعف الحكومات واضطرار الافراد الى الاحتماء بالجماعة التي تمثلهم وتدفع عنهم كل اذىً [٢٧] .

فعقل العراقي بات يشير له الى ضرورة ان يكون له اساس عشائري ممكن ان يتواصل معه ويلجأ له في حالة ضعف او انهيار التكوينات المؤسسية ، حيث ان مشهد انهيار الدولة وسبات عمل مؤسساتها يجعل الفرد ينهزم من واقعه هذا لواقع آخر قد استند عليه متمثلاً بالتكوين العشائري ، الذي قد يخرج عن السياقات العامة ويدخل في طائلة التخندقات والتحزبات التي ممكن ان تحيل المجتمع الى فئات متناحرة كلاً منها يملك منظومته العقلية المبنية على سلوكيات وارث هذه العشيرة التي يجب اتباعها دون مراعاة وحدة الجسد المجتمعي .

ولما كان العقل العراقي سابقاً يخشى التدخل في السياسة ويذهب بعيداً عنها حتى لا يلحقه اذاها كما ان ذلك لا ينفعه في عيشه وموارده ، بات اليوم مشتركاً بشكل رئيس في الخوض بملابساتها ، بسبب شعوره ان الانضواء بعيداً عنها سيكلّفه الكثير في حياته وستتوالى الازمات عليه ، اذ فرضت عليه حالة الانهزام والقهر من الداخل بسبب ظروفه المعاشة في واقعه ، حالة من الانتفاض ليواجه كل ما يجري في حياته وليتغلب على بؤسه وحالة القهر التي مر بها .

ان الاتصال الحضاري الذي دخل العراق منذ العهود السابقة وبفضل ما جاء به من مخترعات وتقنيات كانت بمثابة هزة فكرية فتحت اذهان العراقيين آنذاك نحو كل ما هو متطور ومتقدم [٢٨] ، فالعقلية العراقية في حينها هضمت كل ما هو تقليدي ولا يمكن لها ان تقدم مخرجات تذهب بعيداً عن هذا الشيء ، فلا تقبل لكل ما هو متطور او عصري وجديد لأنه يفوق ما ترسب في داخل ذلك العقل ولم يكن من ضمن الجزيئات التي الم بها في ثقافته ، لذلك واجه هذا الاتصال بعض التشدَّدات في قبوله لأنه يمثل ثورة على التقليدي والمحلي ومن ضمنها الاعراف والعادات والتقاليد ، لكن الهزيمة في داخل هذه العقلية المتأتية من الرتابة في كل شيء جعلته يتقبل ذلك الاتصال ، لوعيه بأنها السبيل الى خلاصه من التأخر او البقاء في ادراج التخلف والانعزال .

ويمكن القول ان المتتبع لجذور ازمة الهوية العراقية منذ تأسيس الدولة والى الآن يجد ان السبب الرئيس في ذلك هو غياب الدولة الممثلة لهوية عراقية واضحة وأصيلة تشتمل على كافة التنوعات الدينية واللغوية والطائفية ، والتي تمثل النهج الصحيح والسليم لإقامة مجتمع سليم [٢٩]، الامر

الذي خلق عقلاً مثقلاً بانجراحات الهوية الممزقة التي كونت معها اساليب وممارسات عقلية تلائم هذا التمزق تمثلت بالفئويات والمصلحيات والتي اتعبت العقلية العراقية واوصلتها الى حاضر غير كفوء يعاني من ويلات الماضي وترسباته العقلية القائمة على منوال واحد في النظر للجسد العراقي المجتمعي .

ولما كانت هشاشة هذه الهوية الوطنية وتقطَّع اوصالها قد ساعد على استمرار العنف والتوتر في الاوضاع السياسية والاجتماعية العراقية [٣٠] ، لذا قد هضمت العقلية العراقية مسألة مؤداها ان تمزق الهوية العراقية وعدم لملمة شتاتها امراً لا مناص منه بسبب عدة امور منها التنوع والحكم السلطوي والبنى الاجتماعية والثروات ولا يمكن ان نخضعها لقالب الوحدة والتماسك بشكلٍ او بآخر ، وعليه باتت تواجه واقعها بعقليةٍ متخبطة لا تنظر الى شأن الهوية نظرة المستند على اساسات قوية وانما نظرة المهزوم وفاقد الامل من خلق هوية وطنية تلم اجزاء الوطن الواحد.

ولعل تمزق الهوية الوطنية العراقية جعل العقلية العراقية تفكر تفكيراً تجزيئياً ، حيث باتت النظرة للجزء دون الكل هي السائدة في شريعة التعامل في الحياة ، فالتماسك والتعاضد يكون بين اطراف الجماعة الواحدة او العشيرة دون التكاتف بين ابناء الوطن الواحد .

ويستعيض الانسان المقهور عن عجزه الفردي بالاحتماء بالجماعة التي ينتمي لها ويزداد ذوباناً بها كلما ازدادت حاجته لها ويشعر بالخطر والتهديدات من الخارج ويندمج معها ويتوحد مع اهدافها [٣١] ، والحقيقة هو هروباً من الواقع الذي يجبر الفرد على الانضواء تحت اذرع من يحقق له طموحاته وان كانت بمستويات لا بأس بها فالفرد العراقي لجأ الى التكوينات العشائرية لما لحق به من انهزام وبؤس واقعه المعاش عسى ان تسد الفجوة عشيرته او الجماعة التي يندمج معها ويُقلص الفارق وتلبي اغلب ما يحتاج له ، لكن الامر ينعكس على وحدة وطن ونسيج اجتماعي يصبح ممزقاً بتعدد وتنوع الولاءات دون الولاء الواحد للوطن .

حتى ان الطائفية التي تُعد نمطاً معيناً من العصبية من حيث قيامها على نمطٍ معين من الانتماء الاجتماعي اكثر من قيامها على اساسات الدين وقواعده [٣٢] ، قد خلقتها التمزقات التي اصابت الهوية العراقية والتي جعلت العقلية العراقية في كثير منها تنظر لها على انها اساس الرجوع الى التراث والعادات والتقاليد والولاءات التي ربما سار عليها الاجداد والآباء ويجب ان يتبعها الابناء .

لقد باتت العقلية العراقية اليوم تعاني من اتون ازمات الماضي والتي جعلتها تواجه امور الحياة بدوافع مهزوزة من الداخل بسبب ما ترسب في دواخلها وما احالت اليه الظروف الحاضرة من صور تكاد لا تختلف عن الفترات التي مضت والبيئات التي عاشتها وما يجب ان تكون عليه في ظل هذه الحالات .

وما انتقاد الفرد العراقي المستمر للحكومات الا وقد جاء بسبب ما قامت به هذه الحكومات من سياسات قد قطَّعت اوصال هذا المجتمع وابعدته عن ملامح المجتمع الناهض نوعاً ما ، الامر الذي جعل التراكمات في العقلية العراقية تجاه ادوار الحكومات وسلطويتها لا تمحى وانما بقيت العقلية العراقية تنظر لكل حكومة على انها متسلطة ولا يمكن ان تأتي بخير لهذا المجتمع ودليلها على ذلك ما ساد في الفترات السابقة وما تم ملاحظته في الشعوب والمجتمعات الاخرى ، فقد تكون هناك حكومة جدية في التعامل مع مقدرات الشعوب ولكنها قد تصطدم بوعي وعقلية لا تبارح مكوناتها القديمة واعرافها وعاداتها وتقاليدها التي ربما تمجَّد الانفصال عن وحدة الوطن وضرب القانون والتمسك بالبالي من هذه التكوينات والنظرة التشاؤمية لكل عهد حكومي جديد، الامر الذي يشكل صدمة لهذه العقول في امكانية التغيير ومحاولة الاخذ بكل ما هو نافع مخلصاً اياهم من تراكمات كانوا يعتقدون انه لا سبيل للهروب منها ، لأنها سنن حياتهم واعرافهم وقد تركَّبت عقولهم على اساساتها ، لذلك تحاول هذه العقول الهروب من الواقع المعاش والذي يشتمل على داخل مهزوم بفعل الرواسب التي خلَّفتها لها العهود السابقة فتصطدم بعجلة التغيير التي ربما تضع حداً لكل هذه الممارسات .

ان ما نواجهه اليوم في العقلية العراقية تركيبات تكوَّنت بفعل ازمات مر بها المجتمع العراقي واحطَّت من مقدراتها بشكلٍ كبير ، الامر الذي جعل هذه العقلية تواجه واقعها الذي هو امتداداً لنكسات سابقة بروحية مهزومة قد اثقلت كاهلها ما تراكم عليها سابقاً ، لذلك باتت العقلية العراقية مقهورة من التاريخ بفعل الماضي الذي خلق البنى الحياتية لهذا المجتمع واحال ما احال عليه من مد بدوي صحراوي الى سياسات تسلطية وعادات وتقاليد واعراف موروثة تناغم مع كل ما هو قديم ، ومقهورةً ايضاً من جغرافية المكان الذي حتَّم على المجتمع العراقي ان يكون بحكم موقعه مسرحاً لغزوات الخارجيين عليه وما قد تحمله هذه الغزوات من مؤثرات فكرية وثقافية مختلفة ، وبحكم موقعه المهم الذي جعله محط انظار المستعمرين ، الامر الذي جعل هذه العقلية مأزومة في الواقع من الخارج وما تأزمها هذا الا بسبب انهزامها من الداخل بفعل ما ترسب في دواخلها حول كيفية العيش في الحياة بعد كل الذي حدث ، مما يدفعها الى التعامل مع مجريات الحياة بدافع منكسر لا يقوى على النهوض ويحفز في ازدياد الازمات الواحدة تلو الاخرى .

وان لم نكن نبالغ فهزيمة الداخل العقلي العراقي لم يحدث اليوم فقط وانما حدث منذ فترات سابقة عندما اطبقت الانتكاسات الاولى عليه فانهزم وبات يساعد على انهزامه بإفساح المجال للازمات بأن تحدث او هي من تساهم في حدوثها واستمراريتها .

ولعل تصرفنا حيال كثير من الامور اليوم هو خير دليل على انهزامية الداخل العقلي العراقي وعدم قدرته على مواجهة ازمات الواقع التي ساهمت هي باستفحالها وتمكنها من مفاصل المجتمع والغور فيها .

اذ تتم معالجة الكثير من الاوضاع الحياتية المعاشة بعقلية الماضي دون محاولة تشريح هذه العقلية باقتطاع كل الاجزاء المتضررة منها واستخدام ما بقي منها صالحاً واضافة ما نهلت منه المجتمعات اليوم في رقيها وتطورها ، فنحن نواجه الحاضر بعقل الماضي ولا نستطيع ان نهرب من الماضي الى الحاضر والمستقبل وانما العكس من ذلك نهرب من واقعنا باللجوء الى الماضي عسى ان ينفعنا ، مع يقيننا بأن ما وصلنا اليه في كثيرٍ منه بسبب ترسبات هذا الماضي الصدأة والعقلية البالية التي قولبت بفعل الاولين غير الصالحين من البشر وليس بصنيعة الحاضرين الآن فقط ، اننا نسير وفق قوالب قد جُهزت لنا ونجد بعقليتنا صعوبةً في التخلص منها لنواجه الحاضر الذي نحيا فيه .

خامساً : الدوران ضمن فُلك الماضي ام التطلع للأمام

لا يمكن ان تكون الارتدادات الاهتزازية القوية الناجمة عن رواسب ماضٍ مكبل بالقيود الفكرية والتقليدية والعقائدية بسيطة نوعاً ما وتمر آثارها وانعكاساتها دون مسببات خطيرة ، وانما ما لحق المجتمع العراقي من تراكمات ماضوية كانت خطيرة وفعلت فعلها بشكلٍ مؤثر ، ولما كان الامر بهذه الخطورة فذلك لا يعني ان المسيرة قد انتهت وان لا امكانية نهائياً في اعادة الامور الى نصابها ، فالأمر بات صعباً لكنه ليس مستحيل الحل .

لقد باتت العقلية العراقية اليوم القادمة الى الحاضر مملوءةً بالانتكاسات التي اضرَّت بصورة قطعية جسدها المجتمعي ، وما وصلت اليه يشير الى هزائم كثيرة قد خاضتها هذه العقلية ضمن تاريخها والظروف التي عاشتها ، ولذلك لم تعد قادرة على التواصل بالشكل الامثل ، اذ ان بقاؤها بهذا الشكل الذي استقرت عليه معناه تحطيم تاريخ مجتمع نهض في فترة من الفترات في سابق العهود قبل ان تحتل الهجمات البدوية والمتخلفة والاستعمارية فضاءات كبيرة في هذه العقلية واحالتها الى ما هي عليه الآن .

فالأمر يستوجب ان تنهض هذه العقلية وتنفض عنها غبار العادات البالية والتقليدية التي لا تنفعها في انضاج اجيال تصبح قادرة على المضي مع العالم نحو التطور والتقدم والعصرية .

فبعد تشظي الهوية التي باتت نوعاً ما في مهب الريح تحتاج العقلية العراقية الى التفكير بجديةٍ في كيفية التحرك وفق مساحات تسمح لها في ان تلملم شتات الوحدة الوطنية وتمنع التمزقات التي طالت نسيجها الاجتماعي .

ولعل الركون الى الماضي والاختباء بحيثياته والاحتماء بأمجاده ، من الامور التي تظهر للعيان في حالات الفشل التي يمر بها الانسان او المجتمع [٣٣] .

ولما كانت العقلية العراقية في كثيرٍ منها قد دأبت على هذا الشيء في التغني بالماضي رغم أفوله وتعثره واشتماله على قوالب وقواعد في اغلبها بالية ، فما ذلك الا انهزاماً وخوفاً من مواجهة الحاضر والخوض في غماره ، وبما ان لسان حال هذه العقلية كان يشير الى ذلك فمن الصعب جداً التقدم خطوات واضحة الى الامام دون تعثر وتراجع ، فالأمر بات يتطلب فك التعاقد غير الصحيح او الذي بُني على اساسات خاطئة بين هذه العقلية والارث التقليدي البالي الذي وجدت نفسها وقد سارت عليه ، ولا نعني هنا نسف ومسخ الاصالة والتقليد ونسفها من جذورها بصورةٍ قطعية وانما ازالة كل ما من شأنه ان يحيل العقلية العراقية الى مستويات التخلف والانصهار في بودقة التراجع والتأخر .

فهل الانكفاء على الذات هو من سيحقق سبل تطورنا وتخليص عقولنا من ادران الماضي؟

لعل ما يحاول الانسان المقهور فعله من جراء التسلّط والقهر الذي يفرض عليه سواء من قبل القانون الحياتي العرفي والعقائدي او التسلط الحكومي هو الانكفاء على ذاته كآلية دفاعية تسير في اتجاه التقوقع والانسحاب بدل المواجهة [٣٤] .

وربما اتبعت العقلية العراقية حالها حال العقول البشرية الاخرى التي تتعرض لمثل هكذا ظروف هذه الآلية في الحفاظ على كيانها كما تظن ومارست الانعزال دون مواجهة الامور والتصدي لها لتغيير الواقع المعاش والانقلاب عليه .

الامر الذي انتج عقلية تمارس جلد الذات لا نقدها ، الجلد الذي يقوم على الانطواء وتأنيب الضمير وقطع الامر بالحياة والنجاح والاستمرار مرة أخرى ، حيث انها مدعاة وتكريس للفشل وانتهاج قنوات جديدة له ، مما يؤدي ذلك الى مزيد من التقوقع والانزواء الذي بدوره يعجّل من تزايد الازمات ويقوّض كل مساعٍ حثيثة للنهوض دون معرفة الاخطاء التي من الممكن لو تم تتبعها لكان الوضع افضل من ناحية سبل التغيير التي تكون قادرة على اقتلاع كل ما من شأنه ان يبقي العقلية العراقية تدور في فلك التراجع والانهيار .

ان ما مطلوب من العقلية العراقية لكي تنهض ان تمارس اداة النقد الذاتي لها ، لكي تخلّص نفسها من المعيقات التي خلقتها هي لذاتها ثم الالتفات الى ما اعاقها في الحياة من ظروف وعوامل اخرى قد احطّت من مقدرات هذه العقلية وجعلتها تعود القهقرى بشكلٍ مروع ، بحيث باتت الاجيال تتقمص الكثير من المساوئ التي وجدت محيطها وهو يُلقنها لها ولا خيار من عدم اتباعها او السير وفق اصولها .

فنقد الذات يتميز بأنه اصعب وادهى من نقد الغير ، حيث ان من طبيعة النفس البشرية ميلها الى الاعتداد بالذات وعدم الاعتراف بالأخطاء التي ممكن ان ترتكبها الا اذا مارست ما يسمى بنقد الذات [٣٥]، الذي يحاول ان يخلّص الذات البشرية من كل مساوئها من خلال الاعتراف بارتكابها حتى تضع الامور في نصابها من خلال تشخيص ما هو الخطأ وما هو الصواب ، الذي من الممكن ان تفعله لكي تختزل وتمحي هذه الاخطاء في القادم من الزمن.

لذا فحتى تكون العقلية العراقية قد اتخذت لها موقفاً حازماً من التدهور الذي اصابها يجب عليها ان تعترف بأنها قد ساهمت بشكلٍ كبير في وصولها لما هي عليه اليوم ، يجب ان تعترف انها سارت كالعمياء وراء الكثير من الاعراف والعادات والتقاليد التي ارتمت في احضانها وجعلتها تمارس عليها سلطة التسيير والجبرية لئلا تُهمش من قبل اسس هذه الانظمة ، لكنها لا تعلم انها قد همَّشت ذاتها بذاتها عندما اتبعتها دون فحص وتدقيق واخذ المفيد منها وترك الضار مع محاولة تصحيح ما هو قابل لذلك .

ان العقلية العراقية يجب ان تعطي للماضي بكل مقدراته التي تكوَّن منها مساحة ومكانة خاصة ، ممكن ان تعود لها هذه العقلية وتستفيد منها في حالات النقد الذاتي من خلال تشخيص نقاط الضعف ومعرفة ما جاء به هذا الماضي وتشريحه واتخاذ العبر من اخطاءه التي تسلطت بشكل كبير عليها ، دون اللجوء له بشكال آخر يتمثل بالهروب والاحتماء بكل ما هو بالي فيه .

كما ان ذلك ليس دعوة للقطيعة مع التراث والماضي كما انه ليس مصالحة معه ، وانما دعوة عقلانية تقوم على اساس تخليص هذه العقلية من رواسب المبادئ التقليدية التي احالت العقلية العراقية الى عقلية مقهورة مهزومة لا تقوى على المواجهة الجادة قد اثقلتها الازمات التي خلقتها لها هذه الرواسب واحالتها الى عقلية مهمشة تعاني التصدع ولا تقوى على النهوض .

يجب على العقلية العراقية ان تبدل ما ترسب في مخيلتها من صور حول الاعراف والعادات والسنن والتقاليد المتوارثة من المد البدوي العصبي وتتمسك بالعادات والتقاليد التي شكلت وفق اسس صحيحة دعمتها الشريعة وحددت لكل فرد ميزات يفترض ان يتصف بها في الحياة .

وحتى تتخلص من الانهزام الذي الم بها يفترض ان تعالج مقتضيات حياتها بشكلٍ يقوم على خلق الترابطات القوية بين اطراف المجتمع التي قطَّعتها التناحرات والفئويات والتعصبات والتحزبات من خلال غربلة ما يمكن غربلته من سنن الحياة التي عاشتها بتخليص المجتمع من التعصب القبلي بالتعريف بأصول القبيلة والعشيرة ودورها في دعم المواطنة وتماسك المجتمع وليس تكريس العصبيات والشلليات على حساب وحدة وطن ومجتمع .

كذلك النظر الى مسألة التفرعات القومية والعرقية والاثنية والطائفية على انها تعددات وليست اختلافات ممكن ان تعيق مسألة نهوض المجتمع ، والتخلص من ذاكرة ان المجتمع العراقي مجتمع يقوم على العرقية والطائفية التي لطالما تتناحر وتتقاتل لغرض البقاء ، وانما تسخير هذا التعدد لأغراض الوحدة والنهوض لخدمة المجتمع .

لذلك لا يكون من جانب العقلية العراقية ان تجلد ذاتها وانما نقدها ، لأنها ان بقيت في اوضاع التراجع والقبول بالمصير الذي جعلها عقلية منقادة مُسيَّرة من قبل موروثات لا تقوى على الخروج عليها ، سيكون مستقبلها مليئاً بالأزمات لأنها لا تملك سلطة السيطرة على ذاتها والرغبة في التغيير الذي ممكن ان يفتح لها آفاقاً ارحب تساهم في بنائها من الداخل وتصبح اداة قوية لبناء مجتمع قادر على مواجهة الازمات وماضياً نحو طريق التقدم والازدهار .

لعل التعارض بين الاصالة والتقليدية من جهة والعصرية من جهة أخرى صعباً نوعاً ما ، على اعتبار ان الاصالة تحوي كل تراث وثقافة المجتمع العراقي بغثها وسمينها في حين ان الحاضر والعصرية يحاولان تغيير وجهة السير من تلقي واقتباس هذا المورث وبخصوصاً البالي منه الى محاولات تبني كل ما هو عقلاني يحاول السيطرة على حالات التبعية المقيتة هذه والقضاء على نوازع الانقياد لكل ما هو قديم .

اننا بحاجة الى تحديد مواقفنا من امور كثيرة اخرى ، فبعد التطرق للماضي وارهاصاته ومسألة النظر الى الذات العراقية ، يفترض تحديد توجهاتنا من الآخر بكل تفرعاته وتنوعاته ، دون جعل الاعراف والتقاليد تتحكم في تسيير توجهاتنا هذه .

اذ يفترض ان تكون نظرتنا لهذا الآخر مبنية على أساس معرفة حقوقه وما يجب عليه ان يفعله والتعامل معه على اساسات تبادل الرأي والاستفادة من خبراته ، دون محاولة تهميش ذلك الآخر وتهشيم اركانه ، فالآخر يمثل جزءً كبيراً من ذواتنا ، حيث يمثل المرآة التي على اساسها نقيس مدى احترامنا ومسؤولياتنا في الحياة .

فالعقلية العراقية بحاجة الى تقليص البون الشاسع بينها وبين الآخر بتنوعاته العرقية والطائفية وعلى أساس اللون والجنس والرأي والمذهب والديانة ، ان كانت تبغي التخلص من كل ما يعيق عملها بشكل مستمر في الحياة .

ويجب ان تنظر الى قضية ان المجتمع العراقي مجتمع طوائف واقليات وديانات على انها من المنافع التي يجب ان يستثمرها هذا المجتمع لتحقيق امال كبيرة وليس العكس من ذلك الذي يراهن على انشقاقات وتفرَّعات تصل الى حد سلخ الهوية الوطنية الواحدة وتبعثرها ، الامر الذي يحيل المجتمع بدورهِ الى جسدٍ متقطَّع الاوصال لا فائدة من تنوعه .

فباستغلال هذا التنوع الذي تفتقر له الكثير من المجتمعات يمكن بناء مجتمع ذو اصول قوية متماسكة عصية على الانهزام وتمتلك مخزونا ارثياً كبيرا يضم ثقافات متنوعة ، منها ما هو ديني ولغوي وتاريخي وعرفي وعقائدي ، والذي لو استغل بشكل امثل لتغيرت صورة ووضع هذا المجتمع وباتت العقلية العراقية عبارة عن كيان ينظر بعين التآلف والوحدة والتنوع لا الانقسامية والتجزئة التي لم تنتفع منها كثيرا ووصلت الى ما هي عليه اليوم .

الخاتمة :

لا يمكن القول اننا قد الممنا بشكلٍ واسع بموضوعة العقلية العراقية ، وانما حاولنا بعض الشيء من اقتفاء أثر بعض المتغيرات التي طالتها وعرَّضتها الى تقلباتٍ واسعة اصبحت تعاني من خلالها من عدة امور تمثلت بأزمات وانتكاسات شملت بنية هذه العقلية وما لحق بها من خلالها ، لذلك فالصورة التي باتت واضحة للعقلية العراقية هي التي تشير الى انها عقلية قد سُيرت من قبل تنميطات عرفية وعاداتية وعقائدية جعلتها لا تقوى على الخروج عن القوالب التي حُددت لها ، وبذلك شقَّت طريقها وهي منزوعة الارادة في رسم خريطة حياة خاصة بها .

من كل ذلك باتت هذه العقلية وفق هذه المآلات ترتد بالرجوع للماضي وتجتره للخروج من انهزاماتها التي فرضتها عليها ظروف الحياة وما ساهمت هي به في رسم الصورة الواضحة لها .

لذلك قد فرض الواقع المعاش لهذه العقلية عليها وضع الهزيمة الذي تلبست به حيث بانت عليها ملامح التأزم من الخارج ، يدفعه انهزاماً من الداخل جعلها لا تنهض وتبقى حبيسة الماضي وقداسته التي خلقتها له الرواسب القديمة وجعلته من التابوهات التي لا ينبغي الخروج عليها او التصدي لها .

ورغم كل هذه التناقضات التي عُبئت بها العقلية العراقية اصبحت بمواجهة أمرين الاول هو ان تستمر بمسارها المتمثل بالقبول بالتسيير او ان تنتفض لتغير الكثير من الملامح التي طفت عليها وذلك هو الامر الثاني ، انها بحاجة الى نقد ذاتها لا جلدها بالرجوع الى نقاط الضعف التي اعترتها ، دون ان تحطم الماضي وامجاده ، وانما تقتلع كل بالي منه وراكد وتنتفع بالأصيل لبناء ذاتها والوثوب بقوةٍ نحو الحاضر والعمل فيه ونحو المستقبل لموازاة امم العالم واخذ موقعاً في سلم التطور الانساني.

الهوامش

١. د. رسول محمد رسول ، نقد العقل الاصلاحي : قراءة في جدلية الفكر العراقي الحديث، ط١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠١٠ ، ص٦ .

٢. د. محمد عابد الجابري ، اشكاليات الفكر العربي المعاصر ، ط٢ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٠ ، ص٥٨ .

٣. د. علي الوردي ، في الطبيعة البشرية : محاولة في فهم ما جرى ، تقديم : سعد البزاز، ط١ ، منشورات الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٦ ، ص٦٧ .

٤. كليفورد غيرتز ، تأويل الثقافات ، ترجمة : محمد بدوي ، ط ، بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ، ٢٠٠٩ ، ص١٧٥ .

٥. د. علي الوردي ، مهزلة العقل البشري ، ط١ ، بغداد ، دار الحوراء ، ٢٠٠٥ ، ص١٢٩ .

٦. كليفورد جيرتز ، مصدر سابق ، ص٢١٥ .

٧. د. علي الوردي ، وعاظ السلاطين ، ط٢ ، لندن ، دار كوفان للنشر ، ١٩٩٥ ، ص٣٢ .

٨. د. علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، ط١ ، قم ، منشورات سعيد بن جبير ، ٢٠٠٥ ، ص١٤٢ .

٩. المصدر نفسه ، ص١١٨ .

١٠. حنا بطاطو ، العراق (الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية) ، ج١ ، ط١ ، بيروت ، مؤسسة الابحاث العربية ، ١٩٩٠ ، ص٣١.

١١. د. مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي : مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور ، ط٩ ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٥ ، ص٧٦ .

١٢. د. علي الوردي ، مهزلة العقل البشري ، مصدر سابق ، ص١٢٨ .

١٣. المصدر نفسه ، ص٣٩ .

١٤. د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج١ ، لندن ، دار كوفان للنشر ، ١٩٩١ ، ص١٧ .

١٥. د. مصطفى حجازي ، مصدر سابق ، ص٧٧ .

١٦. د. ابراهيم الحيدري ، النظام الابوي واشكالية الجنس عند العرب ، ط١ ، بيروت ، دار الساقي ، ٢٠٠٣ ، ص٣١٠ .

١٧. د. متعب مناف ، الشخصية العراقية : متبنيات ومنطلقات ، مجلة النبأ ، العدد ٧٤ ، السنة العاشرة ، مركز المستقبل للثقافة والاعلام ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص٢٥ .

١٨. د. علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، مصدر سابق ، ص٢٦٠ .

١٩. المصدر نفسه ، ص٢٠٩ .

٢٠. المصدر نفسه ، ص٢١٣ .

٢١. المصدر نفسه ، ص٣٣٣ .

٢٢. المصدر نفسه ، ص٢٦٨ .

٢٣. د. مصطفى حجازي ، مصدر سابق ، ص١٠٣ .

٢٤. المصدر نفسه ، ص١٠٤ .

٢٥. المصدر نفسه ، ص١١٠ .

٢٦. د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج١ ، ص٢٢ .

٢٧. د. وميض جمال عمر نظمي ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق ، ط٢ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٥ ، ص١١٩ .

٢٨. د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج١ ، مصدر سابق ، ص٢٨٦-٢٨٧.

٢٩. سليم مطر ، جدل الهويات (عرب ..أكراد ..تركمان ..سريان ..يزيديين) صراع الانتماءات في العراق والشرق الاوسط ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٣ ، ص٦٦ .

٣٠. سليم مطر، الذات الجريحة ، (اشكالات الهوية في العراق والعالم العربي "الشرقمتوسطي") بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٠ ، ص٣٥١ .

٣١. د. مصطفى حجازي ، مصدر سابق ، ص١١٢ .

٣٢. د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج١ ، مصدر سابق ، ص٢٢ .

٣٣. د. مصطفى حجازي ، مصدر سابق ، ص١٠٨ .

٣٤. المصدر نفسه ، ص١٠١ .

٣٥. د. قسطنطين زريق ، ما العمل ؟ حديث الى الاجيال العربية الطالعة ، ط١ ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨ ، ص٦٧ .

The Epistemological View of the Defeated Iraqi Mentality A frgmentation Attempt

Abstract

To face up bravely to plunge into the subject of the Iraqi mentality, we need to use very high accurate tools of research, we can try through examine the parts of the Iraqi mentality with an epistemological and interpretative way and the imagination of its formulation and how does it crystallized and become. This is not an easy task but hard, because we deal with a very complicated mentality kind of according to its environments and circumstances of forming that drawn its own picture through these two elements and made it be formed according to the situations.

Whereas the Iraqi mentality is one of the most unique in the biological formulation among others in the world, its different about each other in the way of life and its views that different from others too.

Mind could be the key for a lot of complicated symbols that life may create, and could contribute strongly in the aggravation of the situation and walk it straight to the unknown, but this is only kind of interpretation of inward thoughts of mind that represents its formulation.

Our vision towards the picture of Iraqi mentality and the way it has formed, needs to try many previous ones contributed in crystallizing this model which we live with recently, the Iraqi mentality with all its aggravations and achievements its not born today, but it is a result of environmental, biological, cultural and faithful accumulation that life has left in the Iraqi society involved very complicated events happened in the past contributed in forming all life conditions with all its differences at that time such as deterioration, prosperity, tumbling, subordination, superiority, fighting, and ideological conflicts.

So what we try to tackle with in this study is not knowing and following up the life history of Iraqi mentality and its content, but to discover the origins and roots of this kind of mentalities, we try to seek deeply with an epistemological interpretative view inside these conditions which made the product of this mentality in the present time.

The following points are the most important cores of this study :

1.the awareness of roots and accumulations that form the Iraqi mentality in this way.

2.mentioning the typical formulations that overmastered the Iraqi mentality and contributed in drawing the costumes, values and culture of the society which were the cause to build some contrasts that dominated life of Iraqi people.

3.the manner the Iraqi mentality works by depending upon past with all its events and plunging into it and sanctification for its events, all this contributed in aggravating and cleaving Iraqi mentality.

4.picture that showed the way Iraqi mentality looks as aggravated outside, overcome inside because of the accumulations of life conditions resulted in as a civilization recession of values , costumes and habits for the overcome mentality do not have the ability to face life conditions directly.

5.searching deeply with an epistemological and interpretative way showed the merits demerits of Iraqi mentality helps to stand on again and strongly to face its development get rid of all accumulations that contributed in its formulation.